

مراجعات في فقه الجماعات الإسلامية: مفاهيم الابتلاء، أدب المحنّة والتدين

الجبرية والقدرة المسيطرتان على عقول المسلمين أدت إلى تحريف معنى الابتلاء في الدين
شعار «الإسلام هو الحل» الصفت به شوائب جعلته جزءاً من الداء وليس عين الدواء.. وطرفًا في المشكلة

علمًا بأن الخطورة كل الخطورة أن تستمر قيادات مرحلة قرع الطبول بكل ضجيجها وبأشخاصها، على الرغم من تبدل الظروف، وتغير الأحوال، وتجدد المسؤوليات، وتنوع الواقع!!

وأحسب أنتا ان لم تقم بتلك العملية تكون قد حكينا على أنفسنا بالعجز وعدم الأهلية، وهذا هو الغياب الرهيب عن الشهود الحضاري، والغيبة عن الوعي، وباختصار شديد انه يعني أن يصير الماضي هو المستقبل، وصور التدين هو الدين، ويظل الافتتان بالتاريخ والعيش فيه هو البديل عن التعامل مع الحاضر، واستشراف المستقبل.

مفهوم «نعلم وليس علينا النتائج» عند الحركيين!!

«نحن مطالبون بالعمل وليس بالنتائج» له أبعاد السلبية التي استقرت في عقل الحركي وفكرة مما أدى إلى ظهور اعوجاج فاخص في سلوكه، وخطل بين في تخطيطه ورؤاه، وأما لاق في الآثار والنتائج !!

بيد أن هذا المفهوم كغيره من المفاهيم تم تسجيله في ذاكرة الحركي بطريقة مشوهة، وادخاله في أبجديات الفكر الحركي وأدبياته بمضامين سلبية غير مسؤولة، وذلك من خلال قراءة خاطئة لجملة من النصوص الكريمة، كقوله تعالى: «انك لا تهدي من أحببت» وقوله: «وان الله يدافع عن الذين آمنوا» وقوله: «ان الأرض يرثها عبادي الصالحون». فإذا كان الله سبحانه هو الهادي، فلماذا اجهد نفسي في الأخذ بأسباب هداية البشرية ومتابعة نتائج تلك الأسباب؟!؛ وإذا كان الله سبحانه هو الذي يدافع عن المؤمنين، فلماذا ابحث عن مكامن قوتي ونقاط ضعفي، أو امكانيات توفير أساليب الحماية وطرق الوقاية ومسارب الدفاع؟!؛ وإذا كان الله سبحانه هو الذي يورث أرضه، ويقيم دولة القرآن، فلماذا افتر في خطة قيامها، وتحديد زمانها ومكانها، وتعيين وسائل إنجازها في إطار (متى، وأين، وكيف)؟!؛ ما دام الله سبحانه وتعالى يورث أرضه لمن يشاء من عباده، وبهبه دولته من شاء من خلقه، وهي منته سبحانه وتعالى وليس بجهد جهيد وفخر رشيد، كما عبر عن ذلك أحد الزعماء الحركيين الذين تربوا على هذه المفاهيم المغلوطة الجبرية القردية، حيث قال مخاطباً اتباعه (دولة الاسلام لا تحتاج الى تفكيركم ولا الى تخطيطكم، لا تفكروا الدولة القرآن فإنها قائمة لا محالة)!!؛ وصرح زعيم آخر بأن (آقمووا دولة القرآن في قلوبكم تقم على أرضكم) هكذا بكل بساطة وسذاجة !!

والغريب أننا في مقابل هذه المفاهيم السلبية، وهذا الطرح الانسحابي، وهذه العقلية القدريّة الجبرية، نجد طرحاً جاداً فاعلاً يأخذ بعين الاعتبار عملية الربط بين الإيمان بالغيب ونوعيّس الكون،

وين العمل والنتيجة، والسبب والمسبب، وذلك من خلال الطرح اليهودي الذي قام عليه مؤتمر بازل في سويسرا، والذي قال فيه تيودور هرتزل ومن حوله من الاقطاب أن دولة اسرائيل ستقوم بعد خمسين سنة في إطار (مني، وكيف، وأين)، وقامت بالفعل في هذا الوقت الذي حددوه لها؛ والعجيب أيضاً أن هذا الفهم (ربط العمل بنتائجها) هو عين ما قررته جملة نصوص الكتاب والسنة التي أمرت باستفراغ الجهد، وتقديم أقصى الممكن في عالم التخطيط، والاسباب والوسائل عند الشروع في أي مشروع، لكي يؤتي هذا الجهد ثماره ونتائجها المرجوحة انظر إلى عمل النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة الدعوة والتأسيس، والدولة والتمكين).

ولا يخفى أن عدم تحديد معالم العمل زماناً ومكاناً، وتقيير النتائج الناجمة عن هذا العمل كما

وكيف، أو عدم الأخذ بالأسباب الكاملة، أو التملص منها والتقصير فيها تحت أي مسمى، ثم تحمّل النتائج السلبية الناجمة عن هذه العقليّة القدريّة الجبرية للأقدار (قدر الله ما شاء فعل) تعتبر جريمة شناعة، تحرّم صاحبها النتائج أبداً، وتوقعه في المصائب أبداً حتى يراجح نفسه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، لأن الله سبحانه وتعالى من حكمته أنه قد أجري هذا الكون العظيم على سُنن ونُواميس ثابتة (فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً) وهذه السنن لا تعرف إلا من أخذ بها ولا تحابي في ذلك أحداً مؤمناً كان أو كافراً (كلاند هؤلاء، وهؤلاء، من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظوراً) وهذا لما قصر أولئك الأخيار من الصحابة - رضوان الله عليهم - يوم (أحد) في استفراغ الجهد، والأخذ بعالم الأسباب والخطبيّة، وتلمس سنن الكون ونُواميسه؛ في جزئية من جزئيات معركة ولم يكن ذلك منهجاً ولا سمتاً لهم، كانت نتيجة المعركة تميل لفائدة خصمهم الذي أخذ بسنن ونُواميس الكون في تلك المعركة، ولأهمية ذلك سجل لنا القرآن الكريم هذه الحادثة، فقال (أولوا أسبابكم مصيبة قد أصبتم مثلها، قلتم أنّي هذا!!! كلّ هو من عند نفسكم) !!

فإذا كان ذلك في زمان ليس به دوائر، ومرارك، وجامعات تقدم الاستشارات الإدارية، والموارد العلمية، والدورات الاستراتيجية، والدوريات الإنسانية وغير ذلك، فكيف ونحن نعيش اليوم عالماً يقدّم علوماً منضبطة في الإدارة، والخطبيّة، والتفكير الاستراتيجي الذي يرسم الأهداف الغائبة، والعمامة، والخاصّة، والوقائيّة، والبدليّة، ويتمّ ضبط ذلك باطر زمني عام مجرء إلى أزمان جزئية إسلامية تؤثّر في كلّ شيء، فهل نحن مستعدين لـ

كل مرحلة، تم ياتينا من يقول: (نحن نعمل فقط
والتنتائج ليست علينا، قد تأتي بعد عام أو بعد مائة
عام، المهم العمل) !!!
وبهذا الفهم القذر الجبri تتدثر بعض القيادات
الفاشلة، فيصير لهم وقاية من المحاسبة والمساعدة،
وزريعة للتلصل من العجز والفساد خلال عشرات
السنن، ويا ليت هذا الفهم المغلوط توقف عند هذا
الحد، بل قدم الى الاتباع بأنه دين وفهم سليم !!
وبالتالي، فإذا كان هذا الفهم المغلوط ديناً وفهمها
سلیماً هل يحق للاتباع مراجعة القيادات الفاشلة
عن حصاد عشرات السنين، وهل يمكن للزعامة
الفاشلة أن تتمثل أمام محكمة يسألون فيها عن سبب
تأخر النصر، وعدم التمكن والاستخلاف ؟!
أليس من المحزن والمخزي أن كل الأعمال اليوم
تخضع للمنهج والتخطيط، حتى مجالات بيع
السندويشات والبيتزا، وتبقى أمور الدعاوة وأقامه
أمر الله سبحانه تسير بالاعتراض والارتجال

غير مناطقها وعلها، مما زاد من حالة الالتباس والارتباك في الفكر الواقع، وهبج أجواء الارهاب والمطاردة لكل محاولة للاصلاح والتجديد.

ومنها اقامة شخصوص ورموز للتدبر المغلوط واضفاء شيء من العصمة عليها، فصار الحديث بفقد او تقويم او مراجعة لهؤلاء الشخصوص والرموز تعنى انتقاد القيم الاسلام ومبادئه المطلقة، الأمر الذي جعل رافعي شعار (الاسلام هو الحل) في حالة ارباك وعجز فاضح عن فك الاشتباك بين الشارع والشارح، وبين القيمة والذات، مما أدى الى تجرة خصومهم على قيم الاسلام ومبادئه سرا وعلانية، فزاد الطين بلة، وتآزرت حالة الامنة من سوء الى أسوأ، كل ذلك من جراء عدم الفهم الصحيح، وممارسة النقد والمراجعة، والتجديد والاجتهد !!

وبنظرة متأنية في مسيرة قرن كامل من العمل والشخصيات، نضلع أمام حقيقة حجم النتائج والحلول التي تحفظت خلال هذه المسيرة مقارنة بالجهد الذي بذل، فلاشك أنه لا يوجد تناسب بين النتائج والجهود التي بذلت على صعيد الفهم والفكر، والتفاصيل والتنظير، أو على مستوى الواقع وتغييره، وتأسيس النموذج الحضاري الذي يمثل قيم الالتباس في مفهوم الفروض الكافية عند الحركيين !!

لقد قام السبيل في علم الاصول بأن الفروض في الاسلام على مرتبتين، مرتبة الواجب العيني والكافائي، فالواجب العيني: هو المفروض على كل شخص مكلف بعينه، كالصلوة والزكاة والصيام، واؤداء الأمانة، والوفاء بالتزامات العقود، وما الى ذلك، وهو منظور الى فاعله بالذات اصلة. والواجب الكفائي: هو فعل يقصد الشارع حصولة في المجتمع، دون نظر الى فاعله معين بالذات، فاذانا قام به البعض سقط الامر عن الباقين. أما الواجب العيني، فلا ينوب مكلف عن مكلف في أدائه، ولا تبرأ ذمة كل مكلف اذا بادأه هو لما كان به عينا.

وفي اطار هذا التعريف تعامل الفقه التقليدي والفكر الحركي مع فروض الكافية المدونة في كتب الاصول ومراجع الفقه عبر الأمثلة التي اخترلت الفروض الكافية في بعض جوانب المذاهب، كصلاة الجنائز، وغسل الميت وتكفينه، ثم تشبيهه وتقديره، وهو ما يسمى بـ(فقه الجنائز أو الميت) الذي صار فيما بعد الحد الفاصل والمثال الناجع بين الكفائي والعيني الذي ينبغي أن يقس عليه علوم الاختلاف (أي جاعل في الأرض خليفة) ويوزن به فقه الحياة (هو أنشاشكم من الأرض واستعمراكم فيها)، كالاجتهد والتجديد، والصناعة والتعمير، والادارة والتخطيط، والسياسة والاعلام، والاقتصاد والحماية التي جعلت فروضا كافية !!

اضف الى ذلك أن العقل التقليدي والحركي المعاصر تلقى تلك الصور المغلوطة لفقهه فروض الكافية وتحرك بها وهو يحمل على عاتقه شعار ضرورة بعث الأمة واحيائها كل ذلك بفقه الجنائز والموتي، وأدوات الغسل والتكتفين، والردم والتقبير !! بل إنه لم يجد حرجا في أن يتعامل مع هذه الصور المغلوطة بمعزل تام عن تصور صحيح لتلك الأجزاء التي تم فيها تدوين هذا الفقه وتلك الأمثل المضروبة ففروض الكافية، أي من حيث حجم علاقة أصحاب هذه المدونات بالأمراء، ودورهم في السياسة وممارسة الوظائف السياسية، ومدى تأثير نظرية الهرة في هذه المدونات تأثيراً ملائماً !!

هذه مقاربة فكرية في بعض الاطروحات التي قدمتها الحركات الإسلامية، ضمن ما
صار يعرف في أدبياتها بـ«الفقه الحركي» والباحث عبد الحكيم الفيتوري يقدم قراءة
جديدة لها ويعرضها على محك النقد الفكري ويوضعها في إطار النص الديني.
ويكشف تحليله عن بعض العيوب والتواصص في هذا الفهم الحركي التي يرى أنها
بحاجة للمعالجة. ومقاربته مفتوحة للنقاش وتعبير عن وجهة نظره، ونحن نرحب بأى
تعليق أو نقد أو نقض لها.

القدس العربي»

الابتلاء عند الحركيين!! | يدلا من اعادة فهم النصوص مجتمعة، ومع

من مسلمات الایمان أن تؤمن بأن الاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وهو الحل الشافى والمبشرية في كل زمان ومكان، وهذا القدر لا مناقشته البتة، بل مناقشة شعار يرفع في اقطار شرق وغرب العالم من الأرض منذ سقوط الدولة العثمانية، حيث به تطبيق الاسلام وتحكيمه وتجمییش الأمة خلا ولا يخفى أن هذه الشعارات معزز عن الفكرة الصحيحة لمعانىء، وبدون وعي كامل لأبعاده ومتطلباته، ولا امتلاك لوسائل تحقيقها، نا عن القدرة على تنفيذه كمشروع عملى لآخر اى من أزماتها المتنوعة والمترعدة!! ضرار هذا الشعار الواقع كالدواء الذي يصرف بمعزل عن ارشاد الطبيب المختص، حيث تعول معه على أساس دواء فقط، بدون معرفة صحيحة لمكوناته، وكيف استعماله، ومقدار جرعااته، ولأى الأمراض فاستخدم بطريقة خطأة فأنقلب الدواء إلى داء، والمشكلة آتت المريض، وانقلب الدواء إلى داء، والمشكلة آتت ليست في تناول الدواء، بل في طريقة استعماله والتغاطي معه!!

وأحسب أن شعار (الاسلام هو الحل) كشعار أصابه شيء من ذلك التشويه، حيث أن الاسلام هو مبادئ دواء ناجح لكل ما تعانيه الأمم من وتخلف وقهرا واستبداد (فمن اتبع هدای فلا يصل يشقى)، فهو يحمل في طياته قيم التوحيد، والمساواة، ويمنح حق الحريات ويحفظ الكرامة الإنسانية، ويصون المثل الحضارية. إلا أن شعار (الاسلام هو الحل) قد الصقت به شوائب شريرة ومتعددة مما جعله جزء من الداء وليس عن الداء وطرفا في المشكلة وليس حل لها كما تصوره رافع المغلوطة التي أحاطت به، منها، عدم تحرير نصوص الاسلام من الفهم التاريخي، وفصل القيم عن الدين وكلام الشاعر عن الشارح، وقيمة الدين وأشكال استثنائية في مسيرة الدعوة، لذا فإنه كان يريضا كل الحرص على أن يوفر لدعوه سبلآ آمنة صولها إلى الناس، ويمهد لأتباعه مجالات العيش ملائمة لظروف العصر، ويسهل مخافة الوقوع في الفتنة والافتتان، فاختار سرية عن العلنية كي لا يكون هناك صدام يعرض به الدعوه للاستئصال والابتلاء، واعتمد حجج طلب الحماية والمنع من مؤسسات الجاهلية ذاك (القبائل) للتبيّغ دعوه وحماية اتباعه، وأجاى بي مبدأ الجوار (اللجوء السياسي) ليحقق ذاته مقصدا، ثم كان خروجه إلى الطائف بحثا عن الأمان تجنبا للوقوع في الابتلاء، وعندما تراءت له حقيقة مكانا آمنا يأمن فيه أصحاب الكرام من وقوع في المحن والإبتلاء، ثم كانت هجرته إلى بيته عندما تحقت له عوامل نجاح دعوه، ونجاة أصحابه من الفتنة والإبتلاء، فقال لهم: «ان الله عز وجل قد جعل لكم أخواتكم ودارا تؤمنون بها» (كما قال تعالى): (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم، كان الله شاكرا عليما».

ولا شك أن مصطلح الابتلاء من خلال سيرة مصطفى صلى الله عليه وسلم يشير اشاره واضحة إلى الابتلاء كان حالة استثنائية في حياة الرسول أول وليس أصلا كما يصوره بعض الدعاة حرريkin، الذين جعلوه أصلا يبني عليه غيره، مجدلا للتباهي والتغافر بين المحميات، فكانوا ثثروا أعداد المعتقلين، والمقتولين، والشهداء، المبعدين في الجماعة كان عنوانا لصحة ايمانها، صوابية مسيرتها، ووضوح استراتيجيتها!!

وبهذه الفاهيم القدريّة والجبرية التي أحاطت بالصطلاح الابتلاء، ومدى تمكّنها من حيّثيات فكر حرريkin، كانت نسبة سقوط مبدأ محاسبة القيادة خل الحركة، ومساحة المراجعة في مسيرة الحركة ستراتيجياتها، ومجالات التجديد والخروج من المقلوب!! مما حاد بالصابرين بلوحة القرية والجبرية في الميل إلى المحافظة على الفكر الحركي والقيادي الفقهى داخل إطار الحركة، والرغبة في الحصول

